

فاتح ومدينة

## دمشق بين أبي عبيدة وخالد



كانت تسمى داماسكي في العصور القديمة باللغة الهيروغليفية، وأطلق عليها الأراميون ديماقشو، وكانت تعرف بأنها المدينة الأكثر وفرة في المياه، أنها دمشق، والتي يعود تاريخ انشائها الى العام 200 قبل الميلاد على يد الآشوريين وقد قال بعض المفسرين في قوله تعالى: «أرزم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد»، «سورة

الفجر: الآيتين 7 - 8»، بأن ذات العماد هي دمشق حاضرة الغوطة العظمى، وكان فيها على ما قيل أربعمئة ألف عمود. يقول الدكتور نصر فريد واصل، مفتي الديار المصرية الأسبق: في منتصف ربيع الأول العام الرابع عشر من الهجرة فكر المسلمون في التوجه الى دمشق، خاصة أن الروم كانوا قد تحصنوا بها وأمر أبو عبيدة

بن الجراح، رضي الله عنه، الجنود بالتحرك الى دمشق، وكان قائد الجيوش بعد أن ولاه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، بدلا من خالد بن الوليد، رضي الله عنه، فزولوا على مكان يسمى مَرَج الصفر، وقد أتاه الخبر بقدم مددهم من حمص، وجاءه الخبر بأنه قد اجتمع طائفة كبيرة من الروم بفحل من أرض فلسطين،

وهو لا يدري بأي الأمرين يبداً، فكتب الي عمر في ذلك فجاءه الجواب: أن ابداً بدمشق فإنها حصن الشام، سار أبو عبيدة من مرج الصفر، قاصداً دمشق، وقد جعل خالد بن الوليد في القلب، وركب أبو عبيدة وعمرو بن العاص في المجنبتين، وعلى الخيل عياض بن غنم، وعلى الرجال شريحيل بن حسنة، فقدموا دمشق، وحاصروها

سبعين ليلة، وقيل أربعة أشهر واستمر صمود الروم في دمشق ويطلبون المدد من حمص، ولكن أبا عبيدة نجح في منع وصول المدد الي المتحصنين فلما أيقن أهل دمشق أنه لا يصل اليهم مدد شعروا باليأس وجاء فصل الشتاء وعسر القتال على الطرفين حتى وصل لخالد خبر قيام بطريق الروم في دمشق بتنظيم حفل كبير بسبب ميلاد طفل جديد له.

وكان أمير الجهاد خالد يرى بخبرته العسكرية الفذة أن هذه المدينة لن تسقط الا بثغرة فاستغل خبر الحفل، وقام هو وكتيبة خاصة منتقاة من صفة المجاهدين بتسليق أسوار المدينة وانحدروا على الحراس السكارى فقتلهم ثم فتحو الباب الشرقي للمدينة، ودخل المسلمون من هذه الناحية.

لما سمع أهل المدينة التكبير أصابهم الفزع الشديد، ولم يدروا ما الخبر، فأسرع أهل كل باب يطلبون من الأمير المسلم المحاصر لهم الصلح والسلام، وكان المسلمون من قبل يدعونهم الي ذلك وهم يرفضون، فأجابهم القائد العام أبو عبيدة لعقد الصلح وهو لا يدري أن خالد قد فتح المدينة من ناحية الشرق، والتقى الصحابة في وسط المدينة هؤلاء فاتحون منتصرون وهؤلاء مسالمون مصالحوون يوم 15 رجب سنة 14 هـ.

### بنته أم البنين على نفقتها

## مسجد القرويين أول جامعة في التاريخ

وامتد اشعاعها العلمي ليصل الي جميع أصقاع الأرض، وتحولت فاس منذ عهد الإدارة لعام 859 ميلادي في عهد دولة الادارسة إحدى الدول الشهيرة التي حكمت المغرب. وقامت ببنائه الشريفة فاطمة الفهرية الملقبة بأم البنين وتشير عدة مصادر تاريخية إلى أن الفهرية التي تطوعت لبنائه واقناع السلطان الإدريسي يحيى الأول بأهميته وهدمت كل ما ورثته لبناء هذا المسجد وظلت صائمه محتبسة إلى أن انتهت أعمال البناء وصلت في المسجد شركا لله.

وحظي مسجد القرويين بشهرة عالمية لأنه يعتبر أول جامعة في العالم، فبعد انتهاء أعمال البناء به واتخاذ مسجداً تقام فيه الصلاة، اختار عدد من العلماء اتخاذ المسجد مقراً لدروسهم، فانشأوا حلقات علمية لهم في مسجد القرويين وكان يجتمع من حولهم طلاب العلم رجلاً ونساءً طلاباً وولادة وقضاة وحرفيين من أعمار مختلفة، ولم يقتصر التدريس على العلوم الدينية، بل اتسع ليشمل باقي علوم الحياة من أدب وعلم وحساب وجغرافيا وتاريخ وطب... ومع مرور الزمن تحول المسجد الي جامعة علمية شاملة تخرج منها فقهاء وقضاة وعلماء جاؤوا الأرض بعلمهم، وبرزت فاس جامع القرويين ازدهرت فاس

يقدم في المسجد من علوم، حيث تشير أغلب المصادر التاريخية إلى أن القرويين انتقل من مرحلة الجامع إلى مرحلة البداية الجامعية في عهد المرابطين، الذين حثوا العلماء على اتخاذ المسجد مقراً لدروسهم، وشيدوا الخزانات والقاعات العلمية لهذا الغرض. ولم يتوقف جامع القرويين عن تقديم الدروس حتى عند الأزمات الداخلية وعند ظروف الحرب، فقد كانت للمسجد موارده الخاصة من نور الوقف المنتشرة حوله والتي وفرت له أموال اللازمة لتسييره. كما كانت له مكانة علمية مميزة فرضت على حكام المدينة المتعاقبين الاهتمام بالفائق به، فجامع القرويين سبق الزيتونة بتونس والأزهر بمصر وجامعات أوروبا في خدمة طلاب العلم وتقديم العلم لهم. وكان لجامع القرويين دوره السياسي والاقتصادي الحضاري، حيث تم اتخاذ القرارات السياسية الحاسمة داخله، وكتب عرائض ووثائق البيعة والحرب والسلام علماءه وطلبته، وكانت أوقافه تكفي جميع المغاربة عند حصول أية أزمة اقتصادية. وفي فترة الاستعمار لعب جامع القرويين دوراً حاسماً في قيام ثورة ضد الاستعمار الفرنسي للمغرب، ولم يقتصر اهتمام المرابطين بمسجد القرويين على الناحية العمرانية، بل إنهم اهتموا بما

كتبة الوحي

شهد العقبة وبدراً ولقبه عمر بن الخطاب بسيد المسلمين

## أبي بن كعب جمع القرآن في حياة النبي وحفظه عنه



من الله علينا ببعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، حيث أنزل عليه أفضل كتبه، ليكون دستوراً للأمة وهداية للخلق ونوراً يستضاء به، ومعجزة للرسول صلى الله عليه وسلم، والقرآن الكريم كتاب ختم الله به الكتب، وأنزله على نبي ختم به الأنبياء، برسالة عامة خالدة ختم بها الرسالات، فالقرآن الكريم كلام رب العالمين، وهو الوحي الإلهي والنور المبين، والمصدر الأول للتشريع الإسلامي الحكيم، والمعجزة الناطقة الخالدة إلى يوم الدين، وهو كله فضل وخير، وبركة وهداية للمسلمين، مصداقاً لقول ربنا العظيم: «وَكذلك أَوْحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا تهدي به من نشاء من عبادنا وإناك لتهدي إلى صراط مستقيم. صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور»، سورة الشورى، الآيتان 52 - 53.

الأجر العظيم

ويسر سبحانه وتعالى تلاوته وحفظه: «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القرآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ منْ مُذَكِّرٍ»، سورة القمر، الآية 17، ورتب على تلاوته الثواب الجزيل والأجر العظيم فقال: «إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانيةً يَرْجُونَ تجارةً لن تُبْوَ، يُؤفِقَهُمُ أَجْرُهُمْ وَيُزِيدُهُمُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ»، فاطر، 29 - 30، وقال صلى الله عليه وسلم: «من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول «ألم» حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»، أخرجه الترمذي وذكر عن رجل أن من صفات المؤمنين أنهم: «يَتْلُونَهُ حق تلاوته»، «البقرة، 121»، ومن حق تلاوته: أن يقرأ مرثلاً مجوداً كما أنزل، وعلى الطريقة التي تلقاها الصحابة رضي الله عنهم-، من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم عنهم أئمة القراءة، حتى وصل إلينا كاملاً سالماً على تلك الكيفية: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»، «الحجر، 9»، وللقرآن الكريم منزلةً قدسية رفيعة، فضائل جليلة مهيبة، منشؤها أنه كلام الحق سبحانه وتعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو الحاصن من الضلال لمن تمسك به، واعتمد بحبله المتين. وسنحدث في مقالنا هذا عن صحابي جليل، وإمام كبير هو الصحابي أبي بن كعب رضي الله عنه فهو سيد القراء، كما وصفه الإمام الذهبي: «سيد القراء، جمع القرآن في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وعرض على النبي صلى الله عليه وسلم وحفظ عنه علماً مباركاً، وكان رأساً في العلم والعمل، رضي الله عنه».

حياته

أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي. وأم أبي- رضي الله عنه- صهبلة بنت الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار، تجتمع هي وأبوها في عمرو بن مالك بن النجار، وهي عمه أبي طلحة زيد بن سهل بن الأسود بن حرام الأنصاري زوج أم سليم، وله كنيستان: أبو المنذر: كناه بها النبي- صلى الله عليه وسلم، وأبو الطفيل، كناه بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه بابنه الطفيل، وشهد العقبة وبدراً، وكان عمر رضي الله عنه يقول: «أبي سيد المسلمين». ومن المعلوم أن أبي رضي الله عنه كان أحد كتبة الوحي للرسول صلى الله عليه وسلم، وكان رضي الله عنه يختم القرآن في ثمانية أيام، كما كان رضي الله عنه حريصاً على تعليم أبناء المسلمين القرآن الكريم سبب سعادتهم في الدنيا والآخرة. قال أبو نعيم: اختلف في وقت وفاة أبي، فقيل: توفي سنة اثنتين وعشرين في خلافة عمر، وقيل: سنة ثلاثين أو سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان، قال: وهو الصحيح، لأن زب بن حبيش لقيه في خلافة عثمان، وقيل: لأن عثمان- رضي الله عنه- أمره بأن يجمع القرآن، «أسد الغابة في معرفة الصحابة 1/64-66».

رجال نزل فيهم قرآن

## أشاد القرآن الكريم بما فعله صهيب الرومي تنازل عن ماله حتى يهاجر في سبيل الله

صهيب الرومي، صحابي جليل من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، أسلم مبكراً في دار الأرقم، وجهر بإسلامه، ولقي في ذلك تعذيباً من قريش، وحارب إلى جوار النبي في كل غزواته وحروبه. هو صهيب بن سنان بن مالك، أبو يحيى، وأمه من بني مالك بن عمرو بن تميم، وسمي بصهيب الرومي لأن قوات من جيش الروم سبوه صغيراً، وكان والده حاكم «الأبلة»، فقد ولاه عليها ملك الفرس كسرى، فهو من العرب الذين نزحوا إلى العراق قبل الإسلام بعد طوول، وله قصر كبير على شاطئ الفرات، فعاش صهيب طفولة ناعمة سعيدة، إلى أن سبى بهجوم رومي على بلده، وقضى ببقية طفولته وصدر شبابه في بلاد الروم، وأخذ لسانه ولهجته، وبعاه تجار الرقيق لعبد الله بن جدهان في مكة، وأعجب سيده الجديد بذكائه ونشاطه وإخلاصه، ونتيجة إعجاب سيده بذكائه ونشاطه وإخلاصه اعتقه وحرره وأخذ يتاجر معه حتى أصبح لديه المال الكثير. وأقام صهيب بمكة إلى أن مات ابن جدهان وبعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم فأسلم، ويقول عمار بن ياسر: لقيت صهيب بن سنان على باب دار الأرقم، ورسول الله فيها، فقلت له: ماذا تريد؟ فأجابني: ماذا تريد أنت؟ قلت له: أريد أن أدخل على محمد، فأسمع ما يقول. قال: وأنا أريد ذلك. فدخلنا على رسول الله فعرض علينا الإسلام، فأسلمنا ثم مكثنا على ذلك حتى أمسينا، ثم خرجنا، ونحن مستخفيان. فكان إسلامهما بعد بضعة وثلاثين رجلاً. وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «السبايق أربعة: أنا سابق العرب، وصهيب سابق الروم، وبلال سابق الحبشة، وسلمان سابق الفرس».

وحينما أراد صهيب الهجرة من مكة إلى المدينة في نصف شهر ربيع الأول تبعه نفر من أهل قريش، فنزل عن راحلته ثم قال: يا معشر قريش لقد علمتم أني من أركامكم رجلاً، وأيم الله لا تصلون إلي حتى أرمي بكل سهم معي في كنانتي ثم أضربكم بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، فافعلوا ما شئتم، فإن شئتم بالتمك على مالي وخليئتم سبيلي، فقالوا «نعم»، ففعل.

فقدم المدينة وهو رمد قد أصابته مجاعة شديدة، فلما وصل قباء وجد بها النبي محمد مع أبي بكر وعمر فأقبل يأكل التمر فقال النبي محمد: «تأكل الرطب وأنت رمد»، فقال: إنما أكله بشق عيني الصحيحة. فتنسب النبي محمد ثم قال صهيب لابي بكر: وعدتني أن نصطحب فخرجت وتركتني. وقال للنبي: وعدتني يا رسول الله أن تصاحبني فانطلقت وتركتني فأخذتني قريش فحبسوني فاشتريت نفسي وأهلي بمالي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «ربح البيع أبا يحيى، ربح البيع»، وهنا نزلت فيه آية من القرآن الكريم وهي قول الله سبحانه تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ»، «سورة البقرة».

وكان صهيب جواداً كريم العطاء، ينفق كل عطائه من بيت المال في سبيل الله، يعين المحتاج ويغيث المكروب، ويطعم الطعام على حبه مسكينا ويتيماً وأسيراً.



• مسجد القرويين